



دعوة لإستشارة مستقبل

الكنيسة القبطية

(٢)

(المستقبل ليس مجهولاً)

دكتور

جورج حبيب بياوي

٢٠١٩

## المستقبل ليس مجهولاً

إن ما حدث من تحوّل في البنية العقلية والروحية طوال نصف القرن المنصرم من تاريخنا المعاصر، يحتاج إلى وقفةٍ مع النفس، ليس للإشارة إلى أخطاءٍ وخطايا، بل لتحديد ووصف هذا التحول ذاته؛ ذلك أن سمات المستقبل تكشف عن نفسها لمن يريد أن يراها، فهي، وإن كانت سابقاً في رحم الماضي، إلا أنها ولدت في الحاضر، وأصبح شكل المولود معروفاً الآن، وليس عسيراً معرفة ما سيكون عليه في قابل الإيام؛ لأن من وُلد بعجزٍ بدنيٍّ كمن وُلد بدون ساقين، لن يكون في يوم من الأيام بطلاً في المصارعة، أو العدو، ولكنه قد يتفوق في السباحة أو الرماية .. إلخ.

من رحم الماضي وُلدت اتهاماتٌ ظلت تُردد طوال سنوات دون فحصٍ ودون بحث. وقد كانت هذه الاتهامات ولا تزال بمثابة الضباب الكثيف الذي حجب رؤية أناسٍ كثيرين. وكانت نتيجة انتشار هذه الاتهامات ودخانها الخانق، أن وُلد الاحجامُ عن الحوار، وتوقفت مجالات كانت لها رسالة في كشف العوار، وحلَّ صمْتُ مَنْ يُراقب منزله وهو يُسرق، عاجزاً حتى عن الاتصال بالشرطة، واكتفى بأن يهتم بخلاص نفسه، وساد فهمٌ خاطئٌ لكلام الرب: "لا تدينوا"; في حين أن الإدانة المقصودة في سياق القول نفسه هي رفض اليهود لتعليم الرب، واستدعاء الشريعة الموسوية لتحكم على هذا التعليم بالبطلان لأن قائله يشفي في السبت ويأكل مع الزناة والخطاة، أي الذين يكسرون وصايا الشريعة.

عندما كتب الأنبا شنودة: "اشفِ الذنب بالتعليم"، فقد حكم على أي رأي مهما كانت مرجعيته بأنه ذنبٌ، وأن ما يكتبه هو من تعليم هو الدواء بعينه!!!

وترتب على ذلك أن نشأت كتائب الشيع متزامنةً مع المولود، الذي تمثّل في

الارتداد إلى أصولية ثقافية باسم الإيمان والعقيدة، فجمعوا كل ما يمكن جمعه من شتائم، مؤكدين على أن المحاربين في كتائب الإعلام يتسمون بسمات عبيد الدونية والعجز العقلي والإحساس بعدم جدوى الوجود، وما يصاحب هذا من إعلاء لاعقلانية تعود إلى فقدان الوعي بقيمة الإنسان.

ولذلك ليس غريباً أن تصبح الأجواء المحيطة كلها، أجواء تخوين واتهام بالهرطقة. ولكن وعلى الرغم من ذلك، فنحن نرى أن العلاج يبدو وعلى الفور في عودة الدوريات العلمية إلى ممارسة دورها.

وإنه وإن كانت المحبة قد اختفت من الخطاب ومن الممارسة، فالحل ليس الحديث عن المحبة، بل في فتح كل ملفات الـ ٤٠ عامًا الماضية. ملفات الكل: القاضي، أو القضاة والمتهمين، فلا مكان بالمرّة لأي تمييز، ولكن يجب أن نأخذ في اعتبارنا:

+ لا مجال لدفع فواتير الماضي وتجريم القضاة الذين وجدوا في الميكروفون محكمتهم العليا، وإنما المجال مفتوح لنشر الأبحاث قبل الحوار. وهذه الأبحاث هي التي سوف تكشف موقف هؤلاء القضاة، حتى دون محاكمة. هذا أفضل من الغليان الصامت الذي قد يؤدي في يوم من الأيام إلى تمرد على الإكليروس.

+ الطريق الضيق الذي قدّمه الرب يسوع لنا هو طريق اختفاء الأهواء، وهو طريقٌ طويل. ويجب أن نعلم أننا نهرب من المسؤولية عندما نضع الحمل الثقيل على كاهل قداسة البابا تواضروس وحده. ويجب أن نعلم أيضاً أن الطريق الضيق - في مثل ما نمر به من ظروف - هو ضحك الحياة في الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية الذي غاب عنه أشخاصٌ مثل د. وليم سليمان - الأستاذة إيريس المصري - د. سليمان نسيم، بل د. مراد وهبة - د. ميلاد حنا، وأسماءٌ لمعت في حياتنا ولكنها هُمّشت عمداً وقصدًا.

## الطريق إلى المستقبل واضح

يجب أن ننتبه إلى جهود القيادة السياسية للنهوض بمصر، وتعلم منها، فمن يتابع هذه الجهود يرى أن هناك تقدماً في مجال الصناعة واكتشاف مصادر الطاقة، ثم الاتجاه نحو التعليم وتنوع مصادر السلاح ودعم القوات المسلحة بما هو حديث، بل وتصنيع بعض المعدات العسكرية. فالنهوض بالاقتصاد هو العمود الفقري الذي يحفظ كرامة مستقبل أي وطن. وغير خافٍ أن معاناة مصر لا تخفى على أحد، فعندما سافرت للدراسة في جامعة كمبردج ١٩٦٥ كان الدولار الأمريكي بما قيمته ٤٢ قرشاً، ولكن ما حدث بعد ذلك معروف.

وبناءً على ذلك لا بد من دعم مؤسسات التعليم، ومرة ثانية: الكلية الإكليريكية. فقد كان صدام المبعوثين مع أسقف التعليم هو صدام من الآباء مع الذي عاشوا على تراث العصر الوسيط. ولذلك كان الهجوم على هؤلاء بمثابة ستر عورة من لم يدرس.

ويجب أن يشمل هذا الدعم سد النقص الواضح عندنا في مجالات:

+ الكتاب المقدس بعهديه، ولا يجب أن يقترب من دراسات الكتاب المقدس من لا يتقن العبرانية واليونانية.

+ تاريخ العقيدة، أليس من العار أن يكون كتاب د. القس يوحنا الحضري هو المرجع المتوافر بين أيدي الأقباط الأرثوذكس.

+ التاريخ الكنسي، وما نشرته مؤسسة بناريون جديراً بكل تقدير، ولكن حاجتنا شديدة إلى توافر مدرس إلى جوار المراجع.

+ كتابات الآباء، وكانت مثل الفاكهة التي لا يذوق طعمها إلا من قرأ ما ترجم،

ولم يكن لدينا مدرس، ولم تدخل في مناهج الدراسة إلا بعض فصول للقديس أناسيوس والقديس كيرلس في مادة اللاهوت المقارن لأستاذنا الأنبا غريغوريوس.

+ وذات الملاحظة خاصة بالقانون الكنسي، فقد مُنِعَ د. عوبي برسوم من التدريس، مجرد أنه يمت بصلة قرابة للشهيد الأنبا صموئيل.

+ لا يمكن تجاهل ما نشره الأب أناسيوس المقاري، فهو أفضل ما لدينا. ودعوته للتدريس في الإكليريكية يجب أن تكون مطلبًا أساسيًا لأنه قدم لنا تاريخ الليتورجيات القبطية.

يتبع